الرؤوف

من أسماء الله الحُسنى الرؤوف ، فالرؤوف اسم ورد في حديث رسول الله ﷺ المتعلق بأسماء الله الحُسنى ، فهو اسم من أسماء الله الحُسنى .

الرؤوف في اللغة شديد الرحمة ، والرأفة أبعد وأبلغ من الرحمة ، أو شدة الرحمة ، ورأف به أي أشفق عليه من مكروه يحل به ، والرأفة في اللغة نهاية الرحمة ، والرأفة من الله : دفع السوء .

وقد يسأل سائل فيقول : من أسماء الله الحُسنى الرحيم ، ومن أسماء الله الحُسنى الرؤوف فما الفرق بينهما ؟ .

إن حلّت المصيبة فإن الله سبحانه وتعالى رحيم بهذا الإنسان ، أما رأفته فتقتضي أن يبعد عنه كل سوء قبل أن تحل به المصيبة ، واسم الرؤوف متعلق أحياناً بالوقاية ، واسم الرحيم متعلق بالعلاج ، والله سبحانه وتعالى لشدة رحمته رؤوف ، ومن لوازم رأفته أنه يحمل العبد على التوبة قبل أن يقع في المعصية ، وحينما يقع في المعصية يستوجب العقاب ، والآن تقتضي رحمته أن يرفع عنه العقاب .

الرأفة شدة الرحمة ، وهي أبلغ من الرحمة ، ورأف به أشفق عليه من مكروه يحل به ، والرأفة نهاية الرحمة ، والرأفة من الله دفع

السوء ، لذلك قيل : إن الرؤوف من أسماء الله هو المتعطف على المذنبين بالتوبة .

ولأضرب مثلاً يقرب هذين المعنيين : الأب حريص على أولاده ولاسيما في أيام الشتاء من أن يصيبهم البرد ، وألا يخرجوا من بارد إلى حار ، أو من حار إلى بارد ، لئلا يصابوا بأمراض الشتاء ، فالحرص البالغ من الأب على ألا يصاب ابنه بمرض هذا من الرأفة ، أما حينما يصاب الابن بمرض ويتفطر قلب الأب له رحمة فهذا من باب الرحمة ، فالرحمة تخفيف الألم عن مصاب واقع ، لكن الرأفة هي الحيلولة بين المتعطف عليه والوقوع في الشدة ، فالرأفة متعلقة بالوقاية ، في حين أن الرحمة متعلقة بالعلاج .

وعلى كل فهذا التفريق هو تفريق لتقريب المعنيين ، لكن أسماء الله تعالى كما قال الله عز وجل عن ذاته : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ .

وتقريب آخر ؛ فالله عز وجل يحذر ويبين وينبه ويرسل المواعظ ، ويُسَخِّر الدعاة ، ويظهر لك الآيات لئلا تعصيه ، فإن عصيته فلا بد من عقاب رادع والعقاب الرادع هو الرحمة ، لأنه هو الذي يحملك على التوبة ، لكن الله حريص على ألا تقع في المعصية وبالتالي ألا تستوجب هذه العقوبة ، ومن ثمّ فلعلي وضحت هذا المعنى الدقيق ، الرأفة قبل أن يقع المصاب ، والرحمة بعد أن يقع المصاب ، والله عز وجل أعطى الإنسان حرية الاختيار ، فلو أن عبداً مؤمناً اختار عملاً سيئاً فالله جل جلاله يرسل له من يحذره ومن يبين له ، ويقيم العقبات أمام عمله السوء ، فإذا أصر الإنسان على عمله وتعلّقت نفسه به عندئذ

يطلقه الله عز وجل ، ويؤدبه ، وبتأديبه يرحمه ، فالرأفة فيها معنى الوقاية ، والرحمة فيها معنى العلاج ، والوقاية رأفة والعلاج رحمة ، والله سبحانه وتعالى رؤوف رحيم .

ولكن كل أب مثلاً يتمنى ألا يقع ابنه في مخالفة تقتضي التأديب ، فإذا وقع في هذه المخالفة وأصر عليها فلابد من التأديب ، والأب الطبيب يتمنى ألا يحتاج ابنه إلى عملية جراحية ، أما إذا تفاقم مرضه إلى درجة يحتاج إليها فلا بد منها .

فأن تأخذ الاحتياطات رأفة ، وأن تخفف المصاب رحمة ، لذلك قيل إن الرؤوف من أسماء الله تعالى ، وهو المتعطف على المذنبين بالتوبة وعلى أوليائه العصمة ، وكنت أتمنى ألا ينسب إلى أوليائه بالعصمة لأن العصمة لرسول الله ﷺ ، فالعصمة للأنبياء والمرسلين ، والحفظ للأولياء والمؤمنين ، وفرق كبير بين العصمة والحفظ ، فالأنبياء جميعاً معصومون عن أن يخطئوا بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ، لكن الأولياء غير معصومين ، لكنهم محفوظون ، ومعنى أنهم محفوظون أي أنهم إذا أخطؤوا فسريعاً ما يتوبون ، ويستغفرون ، ويعودون ، ويتراجعون ، فمن اعتقد العصمة لغير رسول الله ﷺ وأنبيائه ورسله الكرام فقد زاغت عقيدته كذلك ، ومن لم يعتقد العصمة للنبي عليه الصلاة والسلام فقد زاغت عقيدته ، وعقيدة أهل السنة والجماعة أن النبي عليه الصلاة والسلام معصوم بمفرده ، وأن أمته معصومة بمجموعها ، وأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول : « **لا تجتمع أمتي على ضلالة** » ، ولذلك فالأمة معصومة بمجموعها ، والنبي ﷺ معصوم بمفرده .

ويرى بعض العلماء أن الرؤوف بمعنى الرحمة مع المبالغة . أي شدة الرحمة ، والمبالغة بالرحمة هي الرأفة ، وما زلنا في ضرب الأمثال ؛ فالأمهات جميعهن يعطفن على أولادهن ، إلا أن هناك بعض النساء عندهن فرط رحمة بأولادهن ، أي مبالغة ، فبعض الأئمة يرون أن الرأفة شدة الرحمة ، أي هي رحمة في أعلى مستوى .

قال العلماء : « **من رحمة الله بعباده أن يصونهم عن موجبات عقوبته** » ، لذلك فالله عز وجل يحذّر وينذر .

وهناك نقطة دقيقة ، فالله عز وجل أعطانا عقلاً ، وأقام فينا فطرة ، وسخر لنا هذا الكون بسمواته وأرضه ، وأعطانا حرية الاختيار ، وأودع فينا الشهوات وأنزل على رسله البينات ، والله عز وجل أعطىٰ كل شيء ، فالكون مسخر تسخير تعريف وتكريم ،والعقل متطابق في مبادئه مع الكون ، فطرة سليمة تكشف لك الخطأ ، وحرية اختيار تثمن لك العمل ، وشهوة تدفعك إلى الله صابراً أو شاكراً ، وقوة فيما يبدو تعينك على تحقيق اختيارك ،و شرع يعد ميزاناً على ميزاني العقل والفطرة ، وانتهى الأمر ، لكن الله فوق كل ذلك ، فوق الكون الدال على وجوده وكماله ووحدانيته ، وفوق العقل الذي هو أداة معرفة الله ، وفوق الفطرة التي هي أداة كشف الخطأ ، وفوق الاختيار الذي يثمن العمل ، وفوق الشهوة التي تدفع إلى الله عز وجل ، وفوق القوة التي تحقق بها الرغبات ، وفوق الشرع الذي يُعد ميزاناً دقيقاً . فالله جل جلاله برأفته بعباده يتابعهم ويبين لهم ، ويحذرهم ، وينذرهم ، ويجعل أفعاله مبينةً لشرعه ، يعالجهم نفسياً ، واجتماعياً ، وجسدياً ، وأحياناً يسوق لهم المصائب ، فيُلقي في قلوبهم الخوف

والطمأنينة إنه شديد المحال ، وهذه كلها ليصون العبد عن أن يقع في الخطأ .

والإنسان الواعي العاقل الموفق لا يقع في الخطأ ولا يحتاج بعدها إلى معالجة هذا الخطأ ، وقد سأل معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين أحد دهاة العرب عمرو بن العاص من صحابة رسول الله ﷺ ؛ قال : يا عمرو ما بلغ من دهائك ؟ قال : والله ما دخلت مدخلاً إلا أحسنت الخروج منه ، فقال معاوية : لست بداهية ، أما أنا فوالله ما دخلت مدخلاً أحتاج أن أخرج منه .

الرأفة تعني ألا تقع في الخطأ ، والرحمة تعني إن وقعت في الخطأ فلا بد من معالجته ، فمعالجة الخطأ رحمة ، والحيلولة دون الوقوع فيه رأفة ، فالله سبحانه وتعالى رؤوف رحيم .

وأنت مُخير فإذا اخترت السوء حال بينك وبينه ، ونبهك ، وأنذرك وحذرك وخوفك ، أو أرسل إليك من يدلك على الصواب ، أو أراك في المنام شيئاً مخيفاً ، أما إذا أصررت على الخطأ فعندئذ يطلقك إليه ثم تأتي رحمته ، ورحمته كمبضع الجراح ، ورأفته كالمعالجة الفيزيائية ، والحمية والرياضة ، وهذه تحول بينك وبين المرض لكن رحمته تشفيك منه وقد تكون قاسية ، فاسمها رحمة لكنها علاج ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان : ٢٠] .

والنعم الظاهرة لا اختلاف فيها ، لكن النعم الباطنة هي الشدائد التي يسوقها الله عز وجل للإنسان ليحمله على التوبة ، وكم من إنسان

اصطلح مع الله عز وجل إثر شدة باطنة ، وخوف شديد ، ومرض كبير ، وضائقة مالية خانقة ، وعلى إثر هذه الشدائد تُحل العقد ، ويصطلح الإنسان مع الله ، فالحيلولة بين الإنسان وأن ينحرف رأفة ، أما إذا أصر على الانحراف فمعالجته وهو منحرف رحمة ، والله سبحانه وتعالى رؤوف رحيم .

هناك طبيب ينصحك ، ويبين لك مضار التدخين ، ويعطيك الأدلة ، ويطلعك على أحدث الأبحاث ، ويبين لك آلية ضرر التدخين مثلاً ، فإذا أصر المريض على متابعة هذه العادة السيئة وأصيب بمرض عضال فالطبيب نفسه جراح ، يجري عملية جراحية ، فإذا سمعت نصيحته فقد اتبعت اسم الرؤوف ، وإن لم تستجب إلى نصيحته فأنت أمام اسم الرحيم ، لذلك في الأثر :

« إني والإنس والجن في نبأ عظيم ؛ أخلق ويعبد غيري ، وأرزق ويُشكر سواي ، خيري إلى العباد نازل ، وشرهم إلي صاعد ، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم ، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي ، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب ، أهل ذكري أهل مودتي ، أهل شكري أهل زيادتي ، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم » .

إن تابوا فأنا رؤوف بهم ، وإن لم يتوبوا فأنا رحيم بهم ، الرأفة أن يحول بينك وبين الوقوع ، لكن الرحمة أن يعالجك عند الوقوع ، إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب ، الحسنة عندي بعشر أمثالها وأزيد ،

والسيئة بمثلها وأعفو ، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها . . ذلك الله رب العالمين ، حبيب وطبيب ، حبيب إن اتبعنا منهجه ، وطبيب إن حدنا عن منهجه .

قال العلماء : « **ومن رحمته بعباده أن يصونهم عن موجبات عقوبته ، وأن يعصمهم عن الزلة** » ، وهذا أبلغ في باب الرحمن من غفران المعصية ، فأن يحول بينك وبين المعصية أبلغ من أن يغفرها لك .

وربما رحم عبداً بما يكون في الظاهر مشقة وشدة ، ولكنه في الباطن نعمة ورحمة ، ولذلك قال صاحب الحكم العطائية : « **ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فأعطاك** » .

حقيقة أضعها بين أيديكم فلقد قال العلماء : « **الحزن يصنع المعجزات ، أما اليسر والغنى والشبع والترف فهذه غالباً لا تصنع شيئاً** » ، العبقريات تأتي من الفقراء غالباً ، والأزمات أحياناً تولّد تفوقاً ، وتألقاً ، وإبداعاً ، وابتكاراً ، أما الرخاء والبحبوحة والطعام والشراب والأمن ، فلا تولد شيئاً ، وأحياناً يدفعك الخوف إلى باب الله . . وأحياناً تسوق الشدائد الناس إلى باب الله عز وجل ، وتسمو وترقى بهم .

ولذلك فالمجتمعات التي تنعم بالرخاء الكبير ، تجد حجاباً بينها وبين الله ، والمجتمعات التي تعاني ما تعاني ، فهذه المعاناة لعلها سَوق لها من الله عز وجل الرؤوف إلى بابه ، لا تقل أنا أعاني من مشكلات ، والله الذي لا إله إلا هو ، وأنا أقسم بهذا ، لو أن الإنسان كشف الله له يوم القيامة عن حكمة المصائب التي ساقها إليه ، فلابد

من أن يذوب حباً لله عز وجل ، فأفعال الله مدهشة .

أخ كريم آخر حدثني عن ماضيه كقصة ورجاني أن أرويها في أحد دروس المسجد ، درس في فرنسا ، وعاش مجتمع التفلت ، فلما قدم إلى بلده ، قال : جعلت من بيتي ملهى ، كل الموبقات في البيت ، وأنا أعتقد أن الحياة هكذا .

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾

[القيامة : ٣٦ـ٤٠]

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٥] .

ثمّ قال : فجأةً أصبت بمرض عضال ، كل شيء أمامي يهتز وفقدت التوازن والتوافق الحركي ، عشرون محاولة كي أمسك بكأس وعشرون محاولة كي أمسك الملعقة ، إنه عدم التوافق الحركي ، وعدم التوازن والأشياء كلها تتحرك وترتجف ، وقال لي : لقد التقيت بسبعة وثلاثين طبيباً في دمشق ، وكلهم عجز عن معرفة هذا المرض ، ثم ذهبت إلى بلد غربي ، فقال لي الأطباء : إن هذا المرض يصيب الناس بنسبة واحد على ثلاثة عشر مليوناً ، وجاؤوا بطبيب يُعد الأول في العالم في هذا المرض فبقي يعالجني ستة أشهر ، ثم قال لي : أنا أعلم الأطباء بهذا المرض ، وليس لك علاج إطلاقاً ، فعد إلى بلدك أو اذهب إلى الهند فالتق ببعض البوذيين لعلك تألف هذا المرض ، وانتهى الأمر . . عاد إلى الشام ، وله قريب اصطحبه إلى بعض دروس المسجد ، وبينما هو في حلقة الدرس قال : يا رب إن شفيتني لأصلينَّ ، وفي الدرس الثاني قلت في سياق الحديث : إن الله

لا يُجرَّب ولا يشارط ، فقال من توه : والله يا رب لأصلين ، وأول مرة يصلي في حياته في الدرس الثاني ، أما حالته المرضية فلا تُطاق ، وكل شيء أمامه يتحرك اضطراباً في الصورة ، وعدم توافق حركي ، ويقسم بالله العظيم أنه عاد إلى البيت ، وفجأةً ثبتت الصورة أمامه ، ومن شدة فرحه اختل توازنه وصاح ، ثم قام ليقف فوقع ، فأمسك الكأس فوقع ، أما الصورة فقد ثبتت ، وبعد حين عاد له التوافق الحركي ، والتوازن ، وهذا الإنسان هو الآن من طلاب العلم ، ومن رواد المساجد ! لقد اصطلح مع الله ، وتاب توبةً نصوحاً . . ويقول لولا هذا المرض لجعلت بيتي باراً ، وجعلته كالنادي الليلي ، وكل المعاصي كنت أقترفها ولكنتُ واصلْت رحلة الضلال إلى نهايتها .

فربنا عز وجل عندما يصر الإنسان على المعصية رحيم ، لكن الله حريص علينا ألا نقع ، وحرصه على ألا نقع رأفة منه ، ومعالجتنا بدواء مر بعد أن نقع رحمة بنا ، فهو رؤوف ورحيم .

وفي أكثر من أربعين آية :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

كأن يقول : عبدي كما تريد . . إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم . . لكن هنيئاً لمن استجاب لرأفته ونال عطاءه قبل أن تدركه المصيبة .

وقد سألني أحدهم مازحاً : ما فحوى الدروس التي تُلقيها منذ ثلاثين عاماً في المساجد ؟ فأردت أن أداعبه ، فقلت له باللغة الدارجة : « إما أن تأتيه ركضاً وإما أن يجلبك ركضاً ، فاختر واحدة من الاثنتين » .

وأنا والله أرى من الشرف للإنسان ومن الذكاء والتوفيق أن يأتيه طوعاً ، وهو صحيح ومعافى ، وسليم ، وآمن ، وغني ، وشاب ، لا أن يأتيه قهراً وقسراً على أثر مصيبة طاحنة ، والله عز وجل علاجه مرٌّ :

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج : ١٢] .

وأحياناً يحمّل الإنسان ما لا طاقة له به ، فقد ذكر لي رجل : أنه أصيب بمرضين ، مرض عضال في الجهاز الهضمي ، ومثله في القلب ، والشيء الذي لا يُحتمل أن أدوية القلب تؤذي جهاز الهضم وأن أدوية جهاز الهضم تؤذي القلب ، ولذلك اجتمع الأطباء وقالوا : توقف عن أي دواء :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وأحياناً فقر وقهر ومرض وجوع معاً ، فكلما كان الانحراف أشد كان العلاج أكثر مرارة ، والمؤمن يفهم على الله بالإشارة .

ورجل أساء إساءة ، كان يتوقع من الله العقاب فانتظر أياماً ما حدث شيء ، فصحته وبيته وأولاده ، كلها على ما يرام ، ففي الصلاة ناجى ربه ، وقال : يا رب قد عصيتك فلم تعاقبني ، ووقع في قلبه ؛ أن يا عبدي قد عاقبتك ولم تدر ، ألم أحرمك لذة مناجاتي ؟

هذه الصلة هي روحه ، يحرص عليها حرصه على روحه ، فإذا

انقطعت يُعد هذا أكبر عقاب له ، الإنسان المستقيم المصطلح مع الله التائب إليه له منه مدد ، وله سكينة ، وله ونور يقذفه في قلبه ، وطمأنينة ، إنه متوازن ، في ظل الله ورحمته ، وحفظه ، وتوفيقه ، وتأييده ، ودعمه في الدفاع عنه ، فإذا خرق الاستقامة خرج من فيء مظلة الله ، وحفظه فيُعامل كما يُعامل عامة الناس ، أما وأنت مستقيم فلك معاملة خاصة ، قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ١٤١] .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾

[الحج : ٣٨]

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] .

﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

ومن رحمته بك أن يصونك عن ملاحظة الأغيار ، فلا ترفع حوائجك إلا إليه ، والله عز وجل إن رأى عبداً تعلق بعبد مثله ، فمن رحمته بهذا العبد أن يصونه عن الشرك ، ولذلك فالذي تعلقت به يخيب ظنك دائماً والله يغار عليك أن تتجه إلى غيره وهو فقير ، وإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، و الله وحده هو الذي يملك ؛ فلذلك من رحمته أن يصونك عن ملاحظة الأغيار ، فلا ترفع حوائجك إلا إلى الواحد القهار .

قيل لبعضهم : سل حاجتك ، فقال : من وضع قدمه على بساط المعرفة لا يحسن به أن يكون لغير الله عليه منة .

هشام بن عبد الملك كان في الحرم المكي يطوف فالتقى بسالم بن عبد الله وأراد هذا الخليفة أن يتقرب من هذا العالم ، فقال : سلني حاجتك ، قال : والله إني أستحي من الله أن أسأل في بيته غيره ، فلما خرج التقى به خارج الحرم ، فقال : سلني حاجتك ، قال : والله ما سألتها من يملكها أفأسألها من لا يملكها .

وقيل لبعض الصالحين : ألك حاجة ؟ فقال : لا حاجة بي إلى من لا يعلم حاجتي لأن الذي يعلم حاجتي هو الله ، يعلمها دون أن أسأله .

فالرؤوف : هو الذي جاد بلطفه ، ومنَّ بتعطفه ، والرؤوف هو المتعطف على المذنبين بالتوبة وعلى الأولياء بالحفظ ، وهو الذي صان أولياءه عن ملاحظة الأشكال وكفاهم بفضله مؤونة الأشغال ، وقيل : هو الذي ستر ما رأى من العيوب ثم عفا عما ستر من الذنوب .

وأحد العلماء يفرق بين اسم الرؤوف واسم الرحيم ، فيقول : واعلم أنه تعالى قدم الرؤوف على الرحيم والرأفة على الرحمة في الآيات التي تلوناها ، وهذا يقتضي وقوع الفرق بينهما ، وأيضاً أينما ذكر الله تعالى هذين الوصفين قدم الرأفة على الرحمة ، فلابد من بيان الفرق بين الوصفين ، والفرق هو أن الرحيم في الشاهد إنما يحصل لمعنى في المرحوم من فاقة وضعف وحاجة ، والرأفة تطلق عندما تحصل الرحمة في الفاعل من شفقة على المرحوم .

والمعنى دقيق سأشرحه بعون الله ؛ فالباعث على الرحمة هو المرحوم ، وأما الباعث على الرأفة فهو الراحم ، والمرحوم هو الإنسان إذا وقع في مصاب شديد يقتضي أن يحتاج المصاب إلى الرحمة ، فالله رحيم ، أما هذا المخلوق قبل أن يُصاب فمن كمال الله عز وجل ، حرصه على سلامته ، وهذا الحرص يقتضي الرأفة ، فالانطلاق في الرأفة من الله ، وفي الرحمة من العبد ، وهذا هو الفرق .

فمنشأ الرأفة كمال حال الفاعل في إيصال الإحسان ، ومنشأ الرحمة كمال حال المرحوم في الاحتياج إلى الإحسان ، فالإنسان إذا احتاج إلى الرحمة فالله رحيم ، وأما ربنا عز وجل فلأنه منزه ولأنه كامل يحول بين عبده وبين أن يقع في السوء ، فالرأفة من الله والرحمة بسبب مصيبة ألمت بالعبد .

والرأفة والرحمة وردت في كتاب الله في أربعين موضعاً نكتفي بذكر بعضها :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة : ٢٠٧] .

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ۖ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾

[آل عمران : ٣٠]

﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١١٧] .

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل : ٤٧] .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج : ٦٥] .

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور : ٢٠] .

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد : ٩] .

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[الحشر : ١٠]

والملاحظ أن هذين الاسمين وردا معاً لأنهما من طبيعة واحدة ، فواحد وقائي وواحد علاجي ، والأول أشد والثاني أقل .

وبعد هذا البيان والشرح فما الأدب الذي ينبغي أن نتأدب به مع اسم الرؤوف ؟

أولاً : يجب أن نكثر من ذكر هذا الاسم كي نحب الله عز وجل لأن الله أسماؤه حُسنى ، وصفاته فُضلى ، وكلما ذكرنا أسماءه الحُسنى مال القلب إليه واشتاق العبد إلى لقياه ، فمن الأدب أن نكثر من ذكر هذا الاسم .

والشيء الثاني : أن نتخلّق بكمالات الله فنحول بين الناس ومعصية

ربهم ، ونستخدم الأسلوب الوقائي لا العلاجي ، وأقرب شيء الأولاد ، فقبل أن يقع الابن في مشكلة ويمد الأب يده لينقذه ، هناك شيء أهم من ذلك ، أن تحول بينه وبين أن يقع في هذه المشكلة ، فالتربية الوقائية هي التخلق بكمال الله عز وجل ، ففرق كبير بين أن تربي ابنك تربية علاجية وأن تربيه تربية وقائية ، هناك فرق بين الرأفة والرحمة ، لذلك تخلّق بكمالات الرؤوف وحل بين الناس وبين أن يقعوا في مشكلة .

وافترض أنك صاحب محل وعندك موظف ، وأمورك مسيبة فالدرج ليس له قفل ، وأنت لا تدقق ، وعندما لاحظ الموظف أنه لا يوجد تدقيق وهناك تسيب ، سولت له نفسه أن يسرق فلما سرق وتابع في السرقة كشفت السرقة ، وأردت أن تنكل به عندئذ ، تريد أن تذيقه الأمرين ، وأن تفضحه ، وأن تشتكي عليه للقضاء ، وأنت الذي ورطته ، فالآن تريد أن تعالجه ، وكان الأولى بك أن تحول بينه وبين هذه المعصية ، وأن يشعر أن الأمور عندك مضبوطة ، حسابات دقيقة ، وصندوق يومي ، ومبيعات مسجلة ، وحينما تضبط الأمور تحول بين الناس وبين أن يأكلوا مالاً حراماً فأنت بهذا رؤوف ، أما عندما ورطته وفضحته فقد حطمته وانتهى الأمر إلى وبال .

هناك إنسان يهمل زوجته ولا يقوم بواجبه تجاهها ، إذ يغيب عن البيت عشرين ساعة ، ثم يكتشف أنها خانته ، وأنها منحرفة الأخلاق ، وعندئذ يريد أن يفعل بها الأفاعيل ، لا . . أنت لم تكن رؤوفاً بها ، بل سيبت الأمور وأهملت تربيتها حتى وقعت فيما وقعت به ، فحطمتها ، والتطبيق العملي أن تتخلق بكمالات الله ، حُلْ بين الناس وبين أن يقعوا في المعصية ، وأن يفسدوا ، وهذا من أدب

الإنسان مع اسم الرؤوف ، والله عز وجل جعلك خليفته في الأرض ، لتتخلق بكمالاته .

والقاعدة أن الإنسان إذا سرق . . فالسرقة جريمة ومما روي أن « من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد اشترك في عارها وإثمها » .

هذا الذي يعين الناس على أن يسرقوا لغفلته وعدم انضباطه ليس أقل إثماً منهم ، إثمه كإثمهم ، لأن أموره غير مضبوطة .

فإذا اتفقت مع شريك بلا عقد ولا تسجيل للشراكة لدى المراجع الرسميّة ، ولا توثيق ، فهذا الشريك سولت له نفسه أن يجعلك خارج المحل ، فسجل المحل باسمه ، وارتكب جريمة الغدر ، التي كنت أنت السبب فيها ، فلو قيدته بعقد أصولي ، موثق في الجهات الرسمية ، لما سولت له نفسه أن يغدر بك ، فأنت حينما تحول بين الناس وبين أن يقعوا في المعاصي تكون قد تخلّقت باسم الرؤوف . **« فتخلقوا بكمالات الله »** .

فأنت مع أولادك ، وطلابك ، أو مع صانع في المحل تزيل الحدود بينك وبينه فيتطاول عليك ، فتطرده ، فلولا أنك رفعت الحجاب وجرأته عليك ، لما اجترأ ، ولو أبقيته في مكانه وأبقيت نفسك في مكانك لما احتجت أن تطرده وتوقع به الضرر .

فالذي يحول بين الناس وأن يسقطوا ، وأن يتخلقوا بكمالات الله ، إذاً حُل بين الناس وبين أن يسقطوا ، واضبط الأمور ، ودقق .

وكذلك قد تشتري من بائع ، وفي آخر الشهر ، تسأله : كم الحساب ؟ فيقول : ثلاثة آلاف ، فتدفعها دون أن تدقق ، وفي الشهر

الثاني لا تدقق ولا تقول : أرني الحساب ، فسولت له نفسه بعد ذلك فضاعف المبالغ ، فمن الذي حمله على السرقة ؟ أنت ! فلو أردت أن تحول بين الناس وبين أن يقعوا في المعاصي فعليك أن تتخلق بأخلاق الرؤوف .

وقد ورد في بعض الأدعية ؛ اللهم أنت الرؤوف وقد انجذبت إليك القلوب بحسن العواطف وأنت الرحيم أحاطت رحمتك بالطائع والمخالف أشرق على قلبي بنور الرؤوف الحنان واجعلني أعطف على جميع بني الإنسان ، فأستغفر للمذنبين ، وأحب الهدى للكافرين ، وأتمنى التوبة للعاصين ، وأطلب الوسعة للمحتاجين ، فأنال قسطاً وافراً من ميراث سيد المرسلين عليه أتم الصلاة والتسليم إنك على كل شيء قدير .

هذه الأبحاث في أسماء الله الحُسنى لها هدفان كبيران ، الأول أن تعرف الله ، والثاني أن تتخلق بكمالاته ، الأول أن تعظمه ، والثاني أن تسمو إليه ، الأول أن تعرفه والثاني أن تكون كاملاً ، متخلقاً بهذه الأسماء حتى تستحق جنة الله عز وجل .

* * *